مضمونه · ومما لا يخفى على القارىء ان حدود الحقل الدراسي قلما تكـــون بالوضوح الذي يدعيه حتى اكثر انصاره تحمسا من باحثيـــن واساتـــذة ومتخصصين وغيرهم · كما ان الحقل العلمي قد يتغير تغيرا شاملا كما حـدث في ميادين تعليمية كالفيلولوجيا (فقه اللغة) والتاريخ واللاهوت ، الى درجـة يكاد يستحيل فيها الوصول الى تعريف عملي لمضمون الحقل الدراسي · وهـذا يصح وينطبق على حركة الاستشراق لاسباب مهمة ·

ان لادراج تخصص اكاديمي كالدراسات الاستشراقية تحت « حقـــل » جغرافي دلالات واضحة حيث انه يصعب تصور حقل مماثل يسمى بالدراسـات « الاستغرابية » ·وهكذا تظهر خصوصية وغرابة الموقف الاستشراقي · ومما لا ينكر ان هناك فروعا علمية تنطوي على موقف معين تجاه مادة ما ، كالمـادة الانسانية مثلا ، (فدارس التاريخ يعالج الماضي الانساني من موقع متمايـز وراهن) ولكن هذا لا يشكل عنصر قياس بين ما ذكر وبين الاخذ بوجهة نظـر جغرافية ثابتة وتكاد تكون موحدة لحقائق اجتماعية ولغويـة وسياسيـة وتاريخية متعددة ومتباينة · فالمتخصص في الدراسات الكلاسيكية او الرومانسية او حتى الامريكية يركز على جزء صغير نسبيا من العالم وليس على نصفه كما تفعل الحركة الاستشراقية المتميزة بطموحها الجغرافي · وبما ان المستشرقيـن قد صرفوا همهم لكل ما هو شرقي (فالمستشرقون يعتبرون المتخصص بالشرع الاسلامي كالمتخصص في اللهجات الصينية او الاديان الهندية مستشرقا) فعلينا ان نتقبل مجموعة هائلة وغير متجانسة من المعلومات واستعدادا خارقـــا للتشعب كمقومين رئيسيين للحركة الاستشراقية ورؤيتها المربكة الجامعة بيـن الابهام التعسفي والانصراف الى التفاصيل الدقيقة ·

كل ما تقدم كان وصفا للحركة الاستشراقية كفرع اكاديمي · وتعبيـــر الاستشراقية في صيغته الاسمية المجردة يدل على استقلال الفرع عن غيـره · وقد تميز تطوره التاريخي كفرع اكاديمي بتوسع ميدانه وليس بازدياد تخصصه· لقد كان مستشرقو عصر النهضة كـ « اربنيوس » Erpenius و « جيلـــوم بوستيل » Guillaume Postel في المقام الاول باحثين في لغات الاقاليـم المرتبطة بالكتاب المقدس مع ان « بوستيل » تباهى بقدرته على السفر الى الصين من دون ان يحتاج الى مترجم · وعلى العموم وحتى منتصف القرن الثامـــن عشر كانت الحركة الاستشراقية تضم باحثي الكتاب المقدس ودارسي اللغـات السامية والمتخصصين في الاسلام والصين التي كان قد بدأ اليسوعيون في فتح باب دراستها · ولم يصل غزو المستشرقين الاكاديمي الى اواسط اسيا حتى نهاية القرن الثامن عشر حين توصل « انكيتيل ـ دوبيرون » Anquetil - Duperron و « سير ويليام جونز » Sir William Jones الى الكشف عن قيمة وثـراء الزند والسانسكريتية · ولقد اصبحت الحركة الاستشراقية في منتصف القـرن